مجلة كلية الدعوة الإسلامية

العدد الثامن عشر
2001

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1369 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم 2001 من ميلاد المسيح عليه السلام

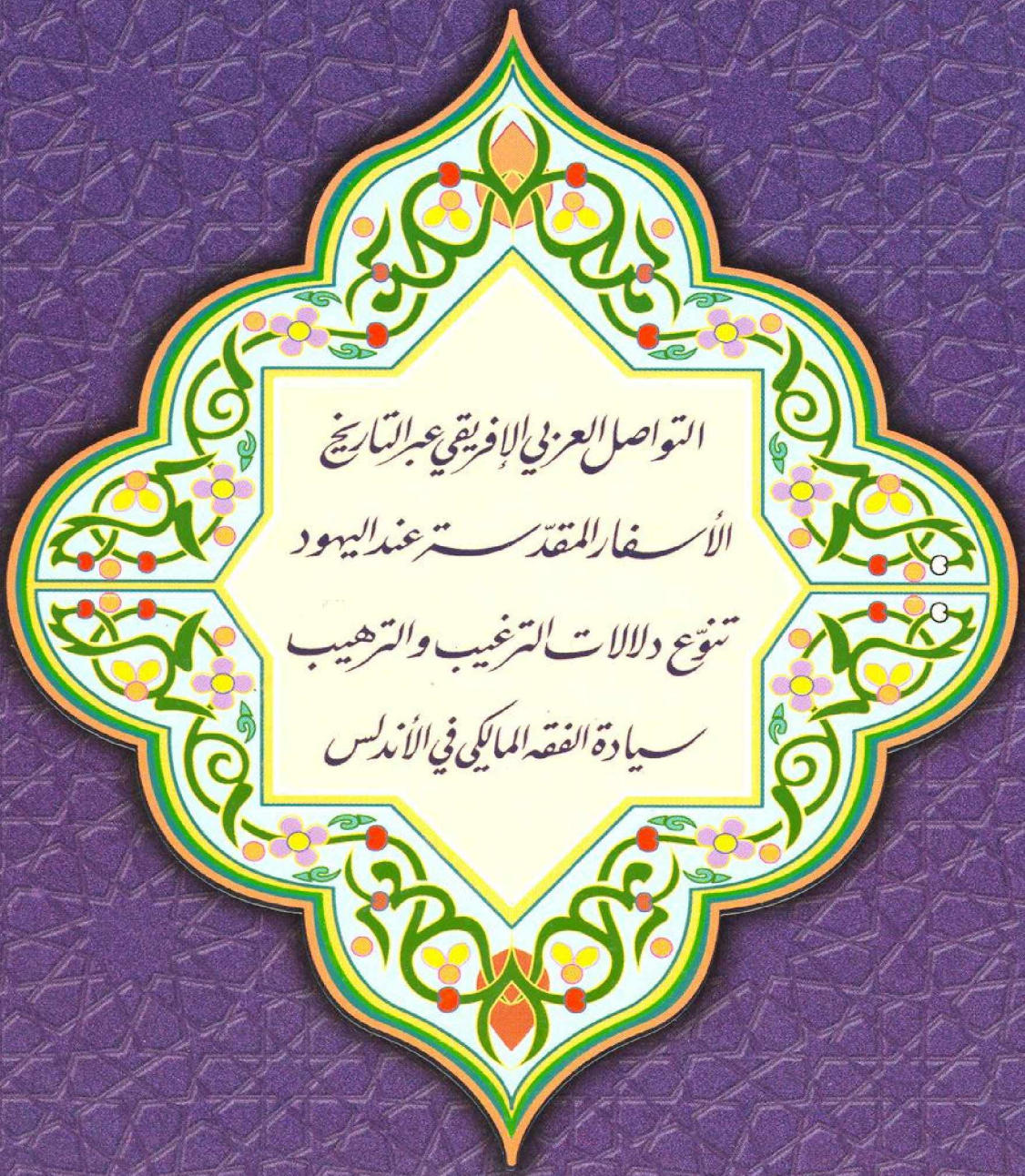

1 ـ العلاقات الدلالية Semantic Relations :

يطلق مصطلح العلاقات الدلالية في علم الدلالة على ما يمكن أن يكون من روابط معنوية بين الكلمات، كيفما تكون تلك الروابط، أفقياً أو رأسياً، توافقاً، أو تنافراً، أو تضاداً.

وقد قامت عليه نظريتان هما:

1 ـ نظرية الحقول الدلالية Semantic Field Theory.

2 ـ نظرية التحايل المكوني.

وتقوم أولاهما على محاولة تصنيف ألفاظ اللغة جميعها في حقول دلالية

وذلك بحسب الحقائق الموجودة في الواقع غير اللغوي وهي:

1 ـ الموجودات (جمع الموجود)، وهو كل ما شغل حيزاً من الفراغ، وأمكن لمسه، أو مشاهدته بالعين المجردة أو بالمنظار، أو وقع الإخبار عنه في الأخبار الصحيحة (القرآن الكريم والسنة المطهرة).

ويضم هذا الحقل ثلاثة حقول رئيسة يندرج تحت كل منها مجموعة من الحقول تأخذ في الهبوط حتى تستغرق ألفاظ اللغة التي تمثلها جميعها، وذلك كما يتضح من الشكل التالي:

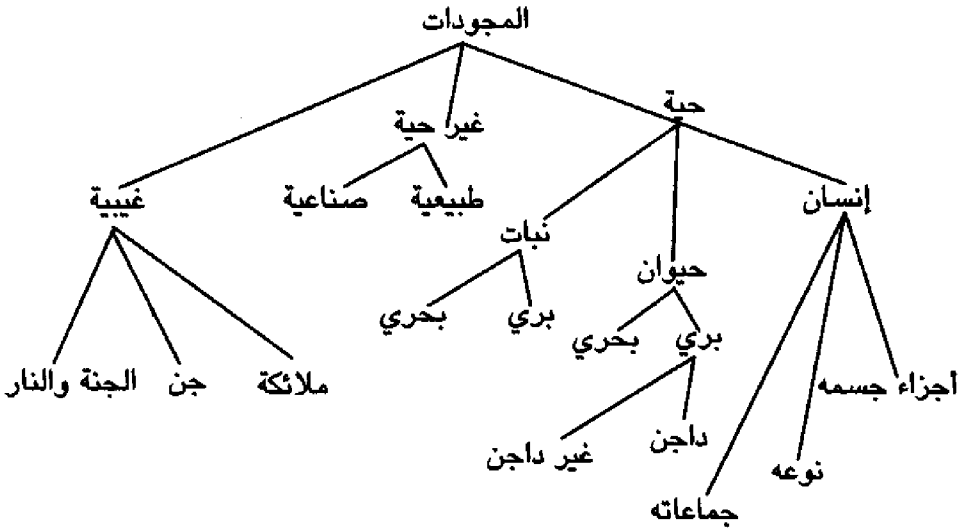

2 ـ الأحداث جمع لحدث ويقصد به كل ما صدر عن الموجودات من أحداث كالمشي والسقوط والوقوف والخرير والمواء... إلخ، وذلك على النحو التالي:

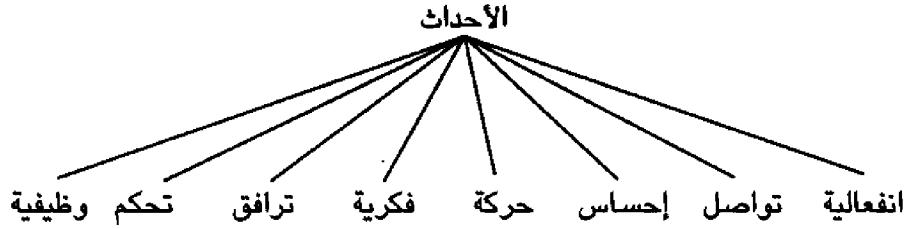

3 ـ الصفات وهي جمع لصفة، ويقصد به كل ما أخذ من لفظ الحدث للدلالة على من قام بالحدث أو قام فيه أو وقع عليه ويشمل:

اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة وغيرها من الصفات، وتصنيفها يكون بحسب تصنيف الأحداث:

صفات انفعالية، صفات تواصل، صفات إحساس... إلخ.

4 ـ المجردات، وهي جمع لمجرد. ويقصد به كل ما تجرد عن المادة، كالزمن والسرعة والجودة... وغيرها، وإن كنا نقر بأنها تتصل بسبب بالأحداث، غير أن الذي دفعنا إلى فصلها عنها هو عدم دلالتها التامة على الحدث، إذ من المعلوم أن الحدث التام ينبغي أن يطلق على ما يمكن أن نعبر عنه بأنه حدث في الماضي ويحدث الآن مثل: الضرب، والقتل والمشي والوقوف والنصر والخروج والدخول والقعود وغير ذلك. أما الجودة والعِظم والكرم في قولك: جاد الشيء يجود جودة أصبح جيداً، وعظم الشيء يعظم عظماً، وكرم فلان يكرُم كرماً، فإننا لا نستطيع أن نعبّر عنها في الحال أو الاستقبال فنقول: يعظُم زيد ويجوُد الشيء ويكرُم عمرو، فهذه أفعال أشبهت الصفات، ولما كانت ليست صفة بمعناها المعروف في العربية فإن لفظة (مجردة) هي المناسب لها.

وأما الزمن فالمقصود به أيام الأسبوع والشهور وغيرها وهذه مجردات.

5 ـ الروابط جمع رابطة، ويقصد به ما يستعمل للربط بين ألفاظ اللغة الأخرى الموجودات والأحداث... إلخ، كالضمائر، والحروف، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والأفعال الناقصة. وعلى هذا تكون ألفاظ اللغة صنفت في خمسة حقول رئيسة حسب هذه النظرية، فيرتبط بعضها ببعض ارتباطاً أفقياً تقابلياً، كما في الشكل التالي:

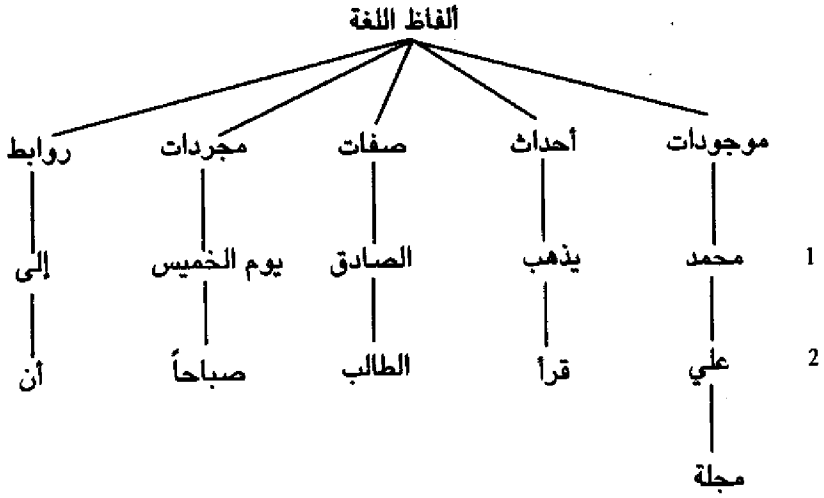

إن العلاقة الرأسية هي علاقة اشتمال، أما العلاقة الأفقية فهي علاقة تقابل أو تنافر، وهذا لا يعني أن كلمة (سوق) التي وضعت تحت (محمد) أو (مجلة) التي وضعت تحت علي بينها وبين كل من (محمد وعلي) علاقة اشتمال. فَعَليٌّ ومحمد ينتميان إلى حقل الإنسان، والسوق ينتمي إلى حقل الموجودات الصناعية والمجلة كذلك، ولهذا فالعلاقة تنافرية وليست اشتمالاً، كما أنها ليست تقابلية؛ لأن التقابل يقتضي الضدية كالأبيض والأسود وهنا لا ضدية.

أما ثاني النظريتين فتقوم على تحليل المعنى إلى العناصر المكونة له، وذلك بالنظر إلى ما يمثله في الواقع غير اللغوي[1].

أخرجها كل من (كاتز وفودر)، (Foder, Kats) في بحث لهما نشر بمجلة (Language) عام 1963 بعنوان (The Structure of Semantic Theory) وضعا فيه الأسس العامة للتحليل. ومفادها أن المعنى يبدأ بتلحيله من العام إلى الخاص، يتبع الخط من المحدد النحوي أو القواعدي Grammatical Marker مروراً بالمحدد الدلالي Semantic Marker، إلى أن ينتهي بالمميز الدلالي Semantic

(1) ينظر Meaning and style. ullmann p243-253 Semantic J.Lyons V.1.P268. و Semantic field. Lehrer P19.

Distingaisher ويقصد بالمحدد النحوي نوع الكلمة ووظيفتها إن وردت في سياق، ويقصد بالمحدد الدلالي المعاني التي تحتملها الكلمة، أما المميز الدلالي فهو العنصر الذي يحدد معنى الكلمة الذي لا يشاركها فيه شيء آخر.

وقد طبقا نظريتهما على كلمة ((Bachelor) ومن معانيها:

1 ـ الرجل العزب.

2 ـ الحاصل على الشهادة الجامعية الأولى.

3 ـ فارس صغير يخدم تحت فارس آخر.

4 ـ حيوان الفقمة في فترة الإخصاب عندما يكون بدون أنثاه.

ولما كان هذا التحليل لا يقدم نظرية دلالية متكاملة، كما أنه لم يكن مترابطاً، قدّما التحليل برسم على النحو التالي[2].

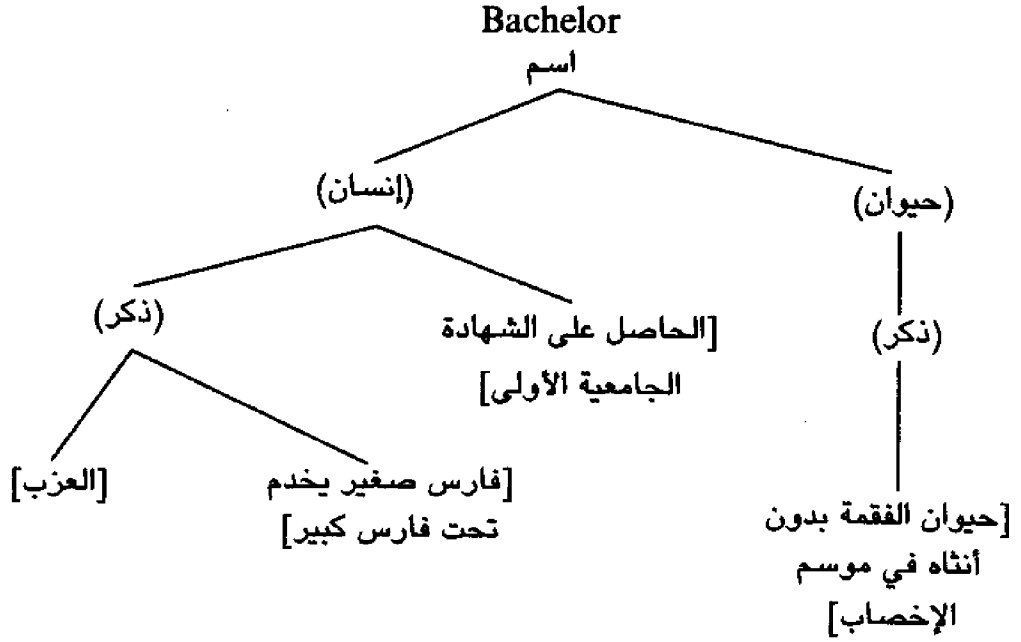

المحدد النحوي كلمة اسم التي خارج الأقواس، والمحدد الدلالي ما كان بين قوسين يشبهان الهلال وهي: حيوان، إنسان، ذكر.

(2) The structure of semantic Theory. Katz and foder in language. 39-1963 p170.

أما ما كان بين القوسين المعقوفين فهو المميز الدلالي الذي يحدد المقصود تحديداً تاماً.

ثم طوّرت هذه النظرية بجهود مُنْشِئِيْها، وجهود عدد من أتباعهما ويأتي (بولينقر Bolingr) في مقدمتهم وهو الذي أعطى للنظرية بعداً جديداً جعلها تحيط بفكرة العلاقات من جوانب كثيرة، ويتضح ذلك من تحليله كلمة (Soup) الإنجليزية التي تعني: الحساء والسحب الثقيلة، والاستنبات الجرثومي، والإسمنت الرطب، ومحلول اليروكسيد ومظهر فوتوغرافي، وانتروجلسرين، والمحنة، ثم ربط بين تلك المعاني.

فهذه المعاني يجمعها في نظره معنى عام وهو التماسك والكثافة، فالحساء والسحب يمكن الربط بينهما من خلال الكثافة، وكذلك الكيمائيات.

والقوة لا تكون كذلك إلا بالتماسك والكثافة، وكذلك المحنة لا يقال عنها محنة إلا إذا كانت كثيفة ومتماسكة، وفي الرسم التالي توضيح للتحليل الذي اتبعه[3].

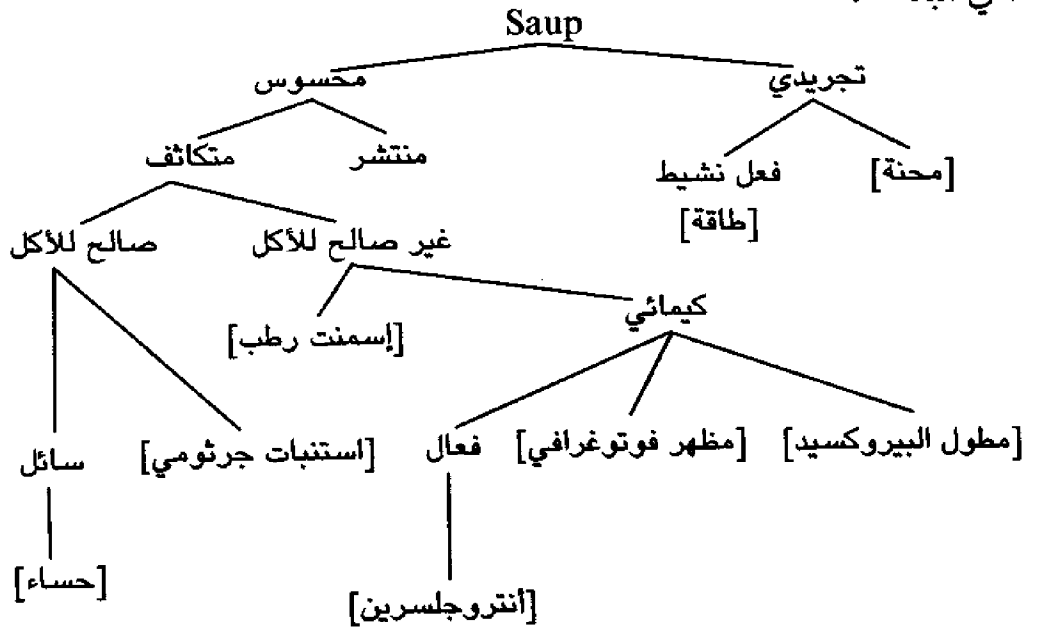

(3) السابق ص186.

ولئن كنا قد قررنا أن فكرة العلاقات الدلالية تقوم عليها نظريتا الحقول والتحليل، فهذا لا يعني أن هذه الفكرة لم تكن معروفة قبل ظهور النظريتين. ذلك أن المتتبع لحركة الدرس اللغوي يجد أن جذورها تضرب في أعماق أبعد. ففي منتصف القرن التاسع عشر قام (هامبلث) V.Von Humboldt بدراسة البناء الداخلي للغة، قرر في نهاية دراسته «أن الأفكار المتعلقة بتقسيمات اللغة إلى حقول سوف تصبح عناصر ذات أهمية كبرى في نظرية المستقبل للبناء الداخلي، لبحث تقسيمات معاني الحقول والأجزاء الأقل في ذلك البناء»[4]، ثم تطورت هذه الفكرة بجهود (دي سوسير) ونظريته البنيوية أوائل القرن الحالي، التي تنظر إلى اللغة أنها بناء متكامل وليست مفردات منفصلة. وهذا بالطبع عند الأوروبيين، وإلا فإن ربط المعاني بعضها ببعض فكرة لم تكن بغائبة عن علمائنا، وسيتضح ذلك عند حديثنا عن مظاهر العلاقات عند ابن جِنّي.

والعلاقات الدلالية التي نحن بصدد الحديث عنها تكون رأسية أو عمودية، وهو ما يمكن أن يُعبر عنه بعلاقة الاشتمال أو التضمن بمعنى أن الأعلى يشتمل على الأسفل، كالموجود الذي يشتمل على الإنسان والحيوان والنبات، وكالحيوان الذي يشتمل على، أو يتضمن الكلب والذئب والقط... الخ، وكالنبات الذي يشتمل على أو يتضمن الأشجار المثمرة، وأشجار الغابات والحشائش وغيرها، وتكون أفقية، وهو ما يمكن أن نعبر عنه بما يلي:

1 ـ علاقة التنافر، وتكون في هذه العلاقة المعاني متنافرة بمعنى أن أحدها لا يكون الآخر ولا يكون مقابلاً له أو ضداً له، كالعلاقة بين الإنسان والحيوان، وكالعلاقة بين القرد والكلب. أما العلاقة بين الكلب والذئب فهي، وإن كانت متنافرة، فهي أيضاً علاقة تضاد، لأن ذكر أحدهما يستدعي الآخر.

2 ـ علاقة التضاد أو التقابل، وفيها تكون المعاني متقابلة أو متضادة كالعلاقة

---

(4) The Atomization. Bolingar. in language v.41 1965 p566.

بين الذكر والأنثى، والأسود والأبيض، والسماء والأرض، والبارد والساخن، والحياة والموت، والصدق والكذب.

3 ـ علاقة التطابق أو التماثل، وفيها تكون المعاني متطابقة؛ كألفاظ الترادف والمشترك اللفظي.

2 ـ مظاهر العلاقات الدلالية عند ابن جِنّي:

فطن علماء العربية لما قد يكون بين الكلمات من روابط معنوية ودلالية منذ أن أخذوا في جمع المادة اللغوية التي كانت عدتهم في وضع القواعد، ويتجلى ذلك في إقرار جمهورهم بأن بعض الكلمات تحمل أكثر من معنى، وهو ما يعرف (بالمشترك اللفظي)، وأن بعض المعاني يعبر عنها بأكثر من لفظ، وهو ما يعرف (بالمترادف)، وأن بعضها يعبر عن معنيين متباينين، وهو ما يعرف (بالتضاد).

وقد بلغت جهودهم الذروة عندما انصرف نفر منهم إلى ألفاظ اللغة يدرسونها، ويستخرجون منها ما يرجع إلى الظواهر التي ذكرناها، وكان عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت216هـ) أول من ألف كتبا في هذا الشأن، من أهمها كتابان، عالج في أحدهما ألفاظاً كثيرة تعبر كل طائفة منها عن معنى واحد[5]، سماه «ما اختلف لفظه واتفق معناه»، وعالج في الثاني ألفاظاً يعبر كل واحد منها عن معان متعددة سماه «ما اتفق لفظه واختلف معناه»[6].

ومما يجدر أن ننبه إليه أن هذه الظواهر كانت مثار جدل بين العلماء، فقد ذهب عدد منهم إلى إنكارها، مبيناً أن الكلمة لا تعبر إلا عن معنى واحد، وأن المعنى الواحد لا يعبر عنه إلا بكلمة واحدة، فإذا ما وجدت كلمة يمكن أن تعبر عن معان متعددة، أو وجد معنى عبر عنه بأكثر من كلمة، أخذ يلتمس الحجج والبراهين التي تبطل ذلك، ويأتي ابن درستويه (ت347هـ)[7] في مقدمة هؤلاء إذ

---

(5) The Theory of Semantic Field in linguistics 1974/137 p180 and lynos Semantics v.1 p250.

(6) الكتاب مطبوع بتحقيق ماجد حسن الذهبي دار الفكر دمشق ط أولى 1986.

(7) ينظر الفهرست للنديم ص61.

ينسب إليه أنه قال «وقد ذكر لفظة (وجد) واختلاف معانيها. هذه اللفظة من أقوى حجج من يزعم أن في كلام العرب ما يتفق لفظه ويختلف معناه، لأن سيبويه ذكره في أول كتابه، وجعله من الأصول المتقدمة. فظن من لم يتأمل المعاني، ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظ واحد قد جاء لمعان مختلفة، وإنما هذه المعاني كلها شيء واحد، وهو إصابة الشيء خيراً كان أو شراً»[8]. ومن المعلوم أن لفظة «وجد» تفيد عدة معان، تقول: وجدت الشيء إذا عثرت عليه، ووجدت عليه إذا غضبت منه، ووجدت وجداً إذا تفانيت في الحب. وهذا الذي قرره ابن درستويه هو عين العلاقات الدلالية، إذ إنه أرجع الحب والغضب والعثور على الشيء إلى معنى علم هو الإصابة، ويمكن توضيح ذلك بالشكل التالي:

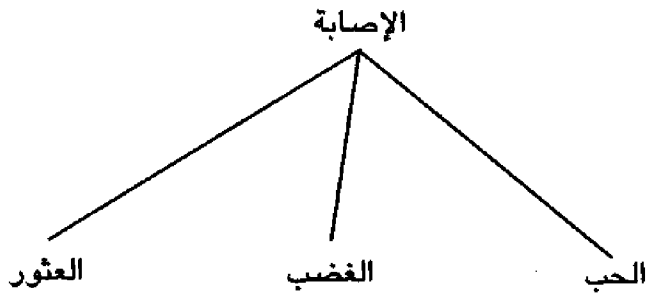

الحقل الرئيسي (الإصابة) من أصاب الشيء يصيبه إصابة، وتندرج تحته حقول جزئية تعبر عن الإصابة، ولكن على نحو خاص، فالحب إصابة ولكن في شيء محدد، والغضب إصابة والعثور على الشيء إصابة، وكأن ابن درستويه تخيل أن الإنسان عندما يغضب من شيء فإنه يصيب الغضب أي يجده، وإذا تفانى في الحب فإنه يصيب الحب أي يجده، كما يعثر على شيء كان قد فقده، وهذا التحليل هو عين ما قام به (بولينقر Bolingar)، وهو يكشف عن العلاقات بين المعاني التي تحملها كلمة (Soup)[9].

(8) ينظر بغية الوعاة جـ/ 2 ص36.

(9) السيوطي المزهر جـ/ 1 ص384.

ولا أريد في هذا الموقف أن استقصي كل ما قيل عن هذه الظواهر (المشترك والتضاد والترادف) فذلك أمر لم يفرد له هذا البحث، ولكنني أردت أن أوضح أن علماء العربية تنبهوا إلى ما يكون من روابط معنوية بين الكلمات، وما يكون من روابط لفظية بين المعاني.

وقد خطا ابن جِنّي (ت392هـ) بالعلاقات الدلالية خطوات واسعة يمكن أن تكون أساساً لنظرية شاملة لها، لا تقف عند حد ما قرره الغربيون أو حتى عند حد ما قرره ابن درستويه، بل تجاوزته إلى مظاهر أخرى من أهمها:

أ ـ رجوع الأصل الثلاثي على اختلاف تقاليبه إلى معنى عام وهو ما يعرف (بالاشتقاق الكبير).

ب ـ أن المعنى العام في الكلمات الثلاثية يؤدى بحرفين وليس للحرف الثالث إلا مهمة التوزيع.

أ ـ الاشتقاق الكبير

ويسميه ابن جِنّي الاشتقاق الأكبر، وهو «ارتباط مطلق غير مقيد بترتيب، بين مجموعات ثلاثية صوتية ترجع تقاليبها الستة وما يتصرف من كل منها إلى مدلول واحد مهما يتغاير ترتيبها الصوتي»[10] مثل: (شوب)[11] ومعناه: الخلط نحو: شاب الرجل اللبن بالماء: إذا خلطه. فإذا قدمت الواو على الشين (وشب)، ثم جمعتها صارت (أوشاب) وتعني: الأخلاط من الناس، وإن قدمت الباء على الشين صارت (وبش) وجمعها (أوباش): وهو الأخلاط من الناس أيضاً، ومنه: (أوبشت الأرض): أنبتت واختلط نباتها.

وإن قدمت الباء على الواو صارت (بوش) ومعناها: الخلط، والقوم المختلطون من قبائل شتى، وهكذا لو ذهبنا في هذا الأمر إلى غايته فإننا سنجد أن المعنى الجامع (لشوب) وتقاليبها هو الخلط والاختلاط.

---

(10) ينظر The Atomization p.567.

(11) د. صبحي الصالح. دراسات في فقه اللغة ص186.

وكان ابن جِنّي أول من أولع بهذا النوع من الاشتقاق وسماه (الاشتقاق الأكبر)، وعقد له فصلاً خاصاً ذكر فيه أمثلة توضحه، وإن كان فَضْل الاختراع يعود إلى الخليل بن أحمد (ت175هـ) حين رتب معجمه (العين) على أساس التقليب، وتبعه في ذلك ابن دريد (ت347هـ) في معجمه (الجمهرة)، وابن فارس (ت395هـ) في معجمه (مقاييس اللغة).

أقول إن هؤلاء لهم فضل وضع نظام التقاليب واعتماده وسيلة من وسائل تنمية اللغة وزيادة مفرداتها، أما ربط المعاني الجزئية بمعنى عام يجمعها فهذا «مما ابتدعه ابن جِنّي»[12].

وقد حاول السيوطي أن يقلل من شأن هذا العمل بحجة «أن تراكيبها تفيد أجناساً من المعاني مغايرة للعدد المشترك»[13]، كما حاول غيره من المتقدمين والمتأخرين ذلك، يقول الأنطاكي: «لعلم اللغة الحديث في هذا النوع من الاشتقاق رأي يخالف رأي اللغويين العرب القدماء، فهذا العلم لا يرى بين (جذب وجبذ) علاقة اشتقاقية، بل يرى ظاهرة معنوية يسميها بظاهرة (الانتقال المكاني)، ومن هذا الفريق الدكتور إبراهيم أنيس الذي اتهم ابن جِنّي بالتكلف والتعسف؛ لأنه «إن استطاع في مشقة وعنت أن يسوق لنا البرهنة على ما يزعم، يضع مواد من كل مواد اللغة التي يقال إنها في جمهرة ابن دريد تصل إلى أربعين ألفاً، وفي معجم لسان العرب تكاد تصل إلى ثمانين ألفاً، فليس يكفي مثل هذا القدر الضئيل المتكلف لإثبات ما يسمى بالاشتقاق الكبير»[14].

كما ذهب إلى مثل هذا الرأي فؤاد ترزي حين قال: «إن الاعتقاد بصحة هذه النظرية يترتب عليه أمران:

الأول: أن لكل حرف من حروف العربية قيمة دلالية خاصة لا يضيرها تغير موقع الحرف في اللفظة، أو تغيره بحرف آخر من مخرجه.

---

(12) ينظر المجمل واللسان مواد شوب وويش وبَوَشَ.

(13) السيوطي المزهر جـ 1، ص347.

(14) السابق والصفحة.

والثاني: أن صوت الحرف هو الذي يؤدي إلى هذه القيمة الدلالية. وفي كل من هذين الأمرين ما فيه من مجافاة للواقع وحَدٌّ لمدلولات اللغة»[15]. وهذه الاعتراضات لا تقلل من فكرة الربط بين معاني التقاليب؛ ذلك أن ابن جِنِّي لا يرى أن تلك التقاليب ترجع إلى معنى واحد على نحو ما نلاحظ في الترادف التام، ولكنه يرى أنها ترجع إلى معنى عام «تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك (عنه) رد بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد»[16].

وإذا كان هذا النص يشوبه بعض الغموض في توضيح الفكرة فإن التطبيقات التي قام بها تؤيد ما ذهبنا إليه؛ من أنه لا يقصد المعنى التام وإن وردت عنده عبارة (معنى واحد)، وإنما يقصد معنى عام ترجع إليه تلك المعاني الجزئية التي يحتملها كل تقليب، ويتضح هذا من وقفة مع تحليله لتقاليب (س م ل)، (م س ل)، (س ل م)، (م ل س)، (ل س م)، (ل م س) فهذه التقاليب معناها العام «الجامع لها، المشتمل عليها، الإصحاب والملاينة منها: الثوب (السمل) وهو الخلق، وذلك لأنه ليس عليه من الوبر والزئبر ما على الجديد، فاليد إذا مرت عليه للمس لم يستوقفها عنه جدة المنسج، ولا خشنة الملمس (والسمل) الماء القليل كأنه شيء قد أخلق وضعف عن قوة المضطرب، وحمة المرتكض ولذلك قال:

حوضاً كأن ماءه إذا عسل ... من آخر الليل رويزي سمل

وقال آخر:

ورّاد أسمال المياه السدم ... في أخريات الغبش المفحّم

ومنها (السلامة) وذلك أن السليم ليس فيه عيب تقف النفس عليه، ولا يعترض عليها به، ومنها (الميسل) و(المسبل) كله واحد، وذلك أن الماء لا يجري إلا في مذهب له وإمام منقاد به، ولو صادف حاجزاً لاعتاقه فلم يجد

---

(15) الأنطاكي. الوجيز في فقه اللغة ص433.

(16) د. أنيس. من أسرار اللغة ص68.

متسرّباً معه، ومنها (الأملس) و(الملساء) وذلك أنه لا اعتراض على الناظر فيه والمتصفح له، ومنها «اللمس»، وذلك أنه إن عارض اليد شيء حائل بينها وبين الملموس لم يصح هناك لمس، وإنما هو إهواء باليد نحوه ووصول منها إليه، ولو كان هناك حائل لاستوقف به عنه. . . فأما (ل س م) فمهمل»[17].

وواضح من هذا التمثيل أن ابن جِنّي لم يقصد المطابقة التامة بين المعاني، ولكنه قصد أن تلك المعاني الجزئية ترجع إلى معنى عام، وهو ما تقوم عليه نظرية في اللسانيات هي نظرية التحليل المكوني Componintiol Analysis التي أخرجها (كاتز وفودر) وطورها عدد من اللغويين من أشهرهم (بولينقر Bolingar) وقد سبق الحديث عنها في الصفحات الأولى من هذا البحث[18].

وأما ما ذهب إليه الأستاذ الأنطاكي بأن هذه الفكرة هي من قبيل القلب المكاني، فإني أقول إن القلب المكاني ظاهرة معروفة عند علماء العربية، وقد خصوها بمباحث في مصنفاتهم، ومن ضوابطها عندهم أن الكلمتين لكي يحكم بحدوث قلب بينهما، لا بد من رجوعهما إلى مصدر واحد، فإن رجعت كل واحدة منهما إلى مصدر فعندها لا يكون ذلك من القلب، وإنما هما كلمتان تستقل كل منهما عن صاحبتها استقلالاً تاماً.

ومن التقاليب التي مثل بها ابن جِنّي تقاليب (ق و ل)، (ق ل و)، (و ق ل)، (و ل ق). (ل ق و)، (ل و ق) ومعناها «إنما هو للخوف والحركة»[19]، ثم شرع في بيان معانيها الجزئية، وكيف يتم إرجاعها إلى المعنى العام الذي يجمعها فقال: الأصل الأول «ق و ل» وهو القول، وذلك أن الفم واللسان يخفان له، ويقلقان ويمذلان به وهو بضد السكوت، الذي هو داعية إلى السكون، ألا ترى أن الابتداء لما كان أخذاً في القول، لم يكن الحرف المبدوء به إلا متحركاً، ولما كان الانتهاء آخذاً في السكوت، لم يكن الحرف الموقوف عليه إلا ساكناً.

---

(17) فؤاد ترزي الاشتقاق ص331.

(18) ابن جني. الخصائص جـ/ 1 ص134.

(19) السابق ص137.

الأصل الثاني: (ق و ل) منه القلو: حمار الوحش وذلك لخفته وإسراعه، قال العجاج:

* نواضح التقريب قِلواً مفلجاً *

ومنه قولهم «قلوت البُسر والسويق، فهما مقلوان، وذلك لأن الشيء إذا قلي جف وخف، وكان أسرع إلى الحركة وألطف، ومنه قولهم: «أقلوليت يا رجل»، قال:

قد عجبت مني ومن بعيليا لما رأتني خلقاً مقلولياً

أي خفيفاً للكبر وطائشاً.

الثالث: (و ق ل) منه الوقل للوعل، وذلك لحركته، وقالوا: توقل في الجبل: إذا صعد فيه، وذلك لا يكون إلا مع الحركة والاعتمال.

قال ابن مقبل:

عودا إحتم القرا إزمولة وقلا يأتي تراث أبيه يتبع القذفا

الرابع: (و ل ق) قالوا: ولق يلق: إذا أسرع.

قال:

* جاءت به عنس من الشام تلق *

أي تخف وتسرع، وقرئ (إذ تلِقونه بألسنتكم) أي تخِفّون وتسرعون.

الخامس: (ل و ق) جاء في الحديث «لا آكل من الطعام إلا ما لوق لي» أي ما خدم، وأعملت اليد في تحريكه وتليينه حتى يطمئن وتنضام جهاته، ومنه اللوقة للزبدة، وذلك لخفتها وإسراع حركتها، وأنها ليست لها مسكة الجبن، وثقل المصلى ونحوهما.

السادس: (ل ق و) من اللقوة للعقاب، قيل لها ذلك لخفتها وسرعة طيرانها قال:

كأني بفتخاء الجناحين لقوة دفوف عن العقبان ظأظأت شملال

ومنه اللقوة في الوجه والتقاؤهما أن الوجه اضطرب شكله، فكأنه خفة فيه

وطيش منه، وليست له مسكة الصحيح، ووقور المستقيم، ومنه قوله:

* وكـانـت لـقـوة لاقـت قـبـبـا *

واللقوة: الناقة السريعة اللقاح، وذلك أنها أسرعت إلى ماء الفحل فقبلته ولم تنب عنه نبو العاقر»[20].

على هذا النحو يسير ابن جِنّي في تقريب المعاني من المعنى العام، معززاً عمله هذا بشواهد من الكلام الفصيح شعراً ونثراً.

وهذه الفكرة تتفق تماماً مع فكرة العلاقات الرأسية والأفقية التي تقوم عليها نظرية الحقول الدلالية Semantic Field Theory، إحدى نظريتين تقوم عليهما فكره العلاقات الدلالية، إذ تصنف الألفاظ وفقها بطريقة يراعى فيها الترابط الرأسي والترابط الأفقي، على نحو ما نحلاظ في الألفاظ التي تخص حقل أحدث (الصدم) مثل: القتل والقطع والطعن... وهي جميعها ترتبط بالصدم بعلاقة رأسية، وترتبط هي فيما بينها بعلاقة أفقية، كما يتضح من الشكل التالي:

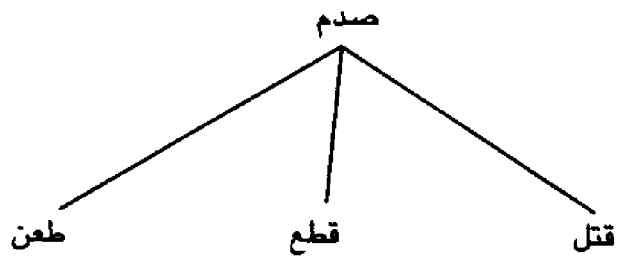

إن القتل نوع من الصدم، وكذلك القطع والطعن، وليس بالضرورة أن يكون القتل قطعاً، والقطع طعناً، وهو ما يمكن أن نرد به على من رد على ابن جِنّي صنيعه هذا، فابن جِنّي، كما بينا في موضع سابق، لا يقصد أن هذه المعاني من قبيل الترادف، ولكنها من قبيل الرجوع إلى معنى عام. فالقول والقلو والوقل والولق واللوق واللقو، يقوم كل منها بدور في إطار المعنى العام

(20) ينظر صفحات 1 ـ 6 من هذا البحث.

الذي هو (الخفوف والحركة) وبهذا نستطيع القول إن الخفوف أو الخفة حقل كبير يرتبط بمجموعة من الحقول ارتباطاً رأسياً، وتلك الحقول ترتبط فيما بينها برباط أفقي كما هو موضح في الشكل التالي:

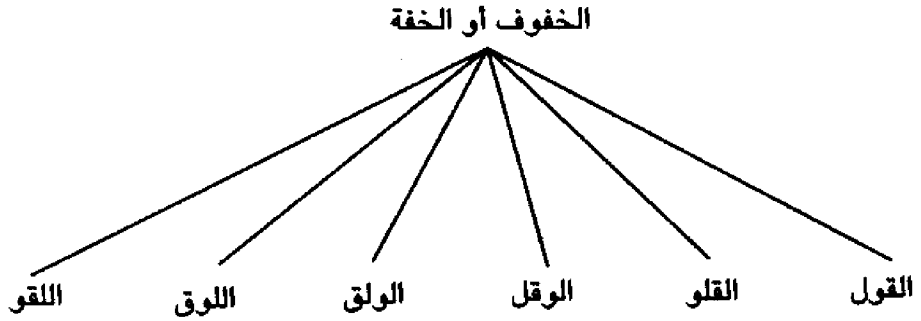

التقاليب الستة يجمعها معنى عام وهو (الخفوف أو الخفة) ولكن ليس بالضرورة أن يحل أحدها محل الآخر، بل إنه ربما كان بينها من التنافر ما لا يخفى على نحو ما نلاحظ في حقل الحيوان الذي يضم الذئب والثعلب والكلب... إلخ، إذ نتفق في كونها ترجع إلى الحيوان، ولكن لا يمكن أن يكون أحدها الآخر.

فالقول وإن كان يعبر عن الخفة فإنه يكون في الكلام، والقلو يكون في حمار الوحش، والوقل يكون في الوعل، والولق يكون في الإسراع في المشي ونحوه، واللوق يكون في عمل اليد، واللقو يكون للعقاب ونحوه.

ومن التقاليب التي مثل بها ابن جِنّي تقاليب (ك ل م) وهي «حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة، والمستعمل منها أصول خمسة، وهي: (ك ل م)، (ك م ل)، (ل ك م) (م ك ل)، (م ل ك) وأهملت منه (ل م ك) فلم تأت في ثبت»[21]، ثم شرع في بيان معانيها الجزئية «فمن ذلك الأصل الأول «ك ل م» منه الكلم للجرح وذلك للشدة التي فيه، وقالوا في قوله سبحانه: «دابة

(21) الخصائص جـ/ 1 ص5.

من الأرض تكلمهم» قولين: أحدهما من الكلام، والآخر من الكلم أي تجرحهم وتأكلهم، وقالوا: الكلام: ما غلظ من الأرض، وذلك لشدته وقوته، وقالوا: رجل كليم أي مجروح وجريح، قال:

* عليها الشيخ كالأسد الكليم *

. . . ومنه الكلام وذلك أنه سبب لكل شر و(شدة) في أكثر الأمر، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ «من كفي لقلقة وقبقبة وذبذبة دخل الجنة» وقال طرفة:

فإن القوافي يتلجن موالجا تضايق عنها أن تَولّجَها الإبر

. . . . الثاني «ك م ل» من ذلك كمل الشيء وكمُل فهو كامل وكميل. . . والتقاؤهما أن الشيء إذا تم وكمل كان حينئذ أقوى وأشد منه إذا كان ناقصاً غير كامل.

الثالث «ل ك م» منه الكلم إذا وجاءت الرجل ونحوه ولا شك في شدة ما هذه سبيله، أنشد الأصمعي:

كان صوت جرعها تساجل هاتيك هاتا حتى تكايل

لدم العجي تكلها الجنادل

. . . الرابع (م ك ل) منه بئر مكول، إذا قل ماؤها قال القطامي:

* كأنها قلب عادية مكل *

والتقاؤهما أن البئر موضوعة الأمر على جمتها بالماء، فإذا قل ماؤها كره موردها وجف جانبها، وتلك شدة ظاهرة.

الخامس «م ل ك» من ذلك ملكت العجين: إذا أنعمت عجنه فاشتد وقوي، ومنه ملك الإنسان، ألا تراهم يقولون:

قد اشتملت عليه يدى وذلك قوة وقدرة من المالك على ملكه»[22].

ويمكن توضيح العلاقات بين التقاليب السابقة بالشكل التالي:

---

(22) السابق جـ/ 1 ص5 ـ 11.

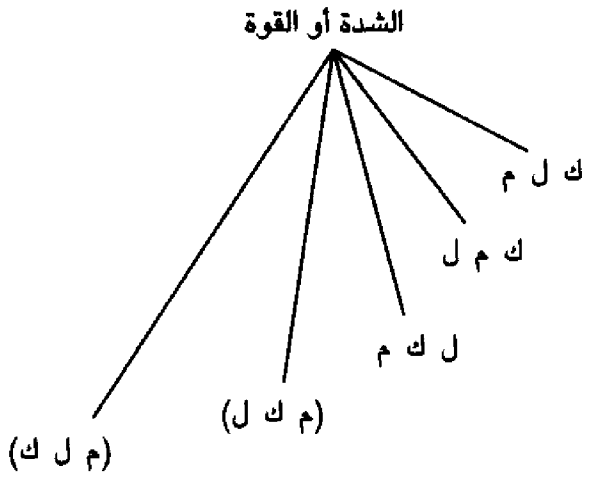

فالعلاقة بين التقاليب الخمسة والشدة أو القوة علاقة الجزء بالكل، أما العلاقة بين تلك التقاليب فعلاقة تنافر، أو بمعنى آخر إننا لا نستطيع استخدام أحدها محل الآخر، إذ لا يجوز أن تستخدم الكل في الكلام ولا الكل في الملك. . . الخ، وأما أن هذه التقاليب تستخدم في الشدة أو القوة فذلك أن الشدة ليست واحدة فنقول هذا الرجل شديد: وهذا المرض شديد وهذه الرياح شديدة، ونقول هذا الرجل قوي، وهذا الثوب قوي، وهذه الرياح قوية. فقد وصفنا كل ذلك بالشدة أو القوة ولم تكن قوتها أو شدتها واحدة.

ثم إن هناك شيئاً آخر ينبغي أن ينبه إليه وهو أن هذه العلاقات لا تكون بين كلمات تنتمي إلى فصائل مختلفة، ولكن تكون بين كلمات تنتمي إلى فصيلة واحدة، وما مثلنا به جميعه ينتمي إلى فصيلة المصادر أو أسماء المعاني، وذلك لأن ابن جِنّي جعل رأس الموضوع في كل ما يتحدث عنه هو المصدر أو الحدث أو اسم المعنى نحو «فمعناه الدلالة على القوة والشدة» ونحو: «إن معنى القول. . . إنما هو للخفوف والحركة»[23] والشدة والقوة والخفوف والحركة مصادر، أو أسماء معاني يدل كل منها على الحدث مجرداً عن النو ع والهيئة والفاعل.

---

(23) السابق جـ/ 1 ص13.

ولا أريد هناك أن أزعم أن كل ما جاء به ابن جِنّي يوافق الحقيقة موافقة تامة، ولكن أقول إنها محاولة جديرة بأن يوقف عندها، وبخاصة بعد أن أصبحت اللسانيات تعير هذه المسائل اهتماماً كبيراً، وتحاول أن تؤسس عليها النظريات، وتقيم عليها المبادئ، وما محاولة (بولينقر) التي تحدثنا عنها في أكثر من موضع من هذا البحث عنا ببعيدة.

وحتى لا يكون الكلام مجرد أفكار نظرية قد تقبل التطبيق أو لا تقبله نعمد إلى معجم من المعاجم التي اعتمدت نظام التقاليب، نتحقق من إمكانية تعميم مبدأ الربط بين المعاني فيها.

من هذا تقاليب (ب ت هـ) المستعمل منها (هـ ب ت) و(ب هـ ت) تقول: «هبتُ الرجل هبته هبتاً إذا ذللته، ورجل هبت ومهبوت إذا كان ضعيفاً جباناً... وبُهت الرجل فهو مبهوت إذا استولت عليه الحجة. وفي التنزيل «فبهت الذي كفر»[24]، المعنى العام للتقليب هو الإذلال أو المذلة، فالضعيف مذل وذليل والذي تقام عليه الحجة ذليل كذلك. ويمكن توضيح ذلك بما يلي:

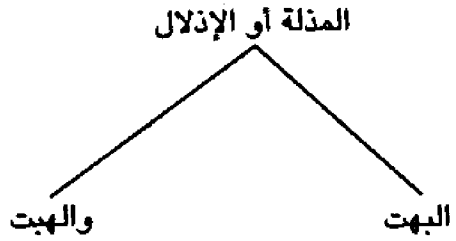

ومن هذا تقاليب (ب ث ع) تقول: ثَبعتْ شفة فلان تثبع ثبعاً...

إذا غلظ لحمها وظهر دمها... وبعثت الرجل في الحاجة... والعبث من قولهم عبثت بالشيء أعبث عبثاً... والثعب انثعاب الماء»[25] والمعنى العام لهذه التقاليب الأربعة هو الظهور، وأما التقليبان الآخران فيبدو أنهما مهملان، ويمكن توضيح ذلك بالشكل التالي:

---

(24) السابق ص13 ـ 15.

(25) السابق ص5.

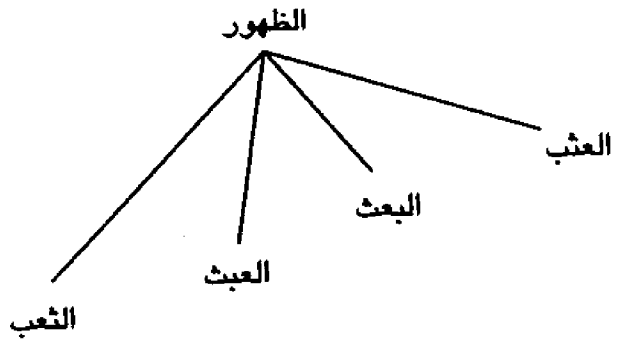

ومعنى الظهور ملاحظ في هذه التقاليب الأربعة، فالشفة لا يقال عنها إنها بثعت إلا إذا غلظ لحمها وظهر دمها، وفي هذا ظهور ووضوح، والمبعوث في الحاجة كذلك يكون ظاهراً، والعبث، فيه معنى الظهور إذ لا يعبث بالشيء المخفي، والماء لا يقال عنه إنه مثعب إلا إذا سال.

ب ـ تحقق المعنى العام في الأصول الثلاثية بحرفين وليس للحرف الثالث إلا التنويع.

وتقوم على هذا المبدأ نظرية شهيرة عرفت في الدرس اللغوي العربي بالنظرية (الثنائية) ومن أهم أسسها[26]:

1 ـ أن الأصول اللغوية نشأت محاكاة لأصوات المسموعات كأصوات الإنسان والحيوان، والأصوات التي تحدثها مظاهر الطبيعة المختلفة.

2 ـ أن المادة اللغوية نشأت في أول أمرها ثنائية، يتركب كل منها من مقطع واحد مغلق، أو من حرفين أولهما متحرك حركة قصيرة وثانيهما ساكن، وأن سنة التطور والنمو المطرد تعززهما التجربة والمشاهدات المتجددة، هي العامل الفعال في تعديل المادة الثنائية من جهة، وفي جعلها مركبة من ثلاثة أحرف أو أكثر من جهة أخرى.

3 ـ أن حرفي المادة الثنائية هما معاً في الغالب شديدان أو رخوان أو متوسطان بين الشدة والرخاوة.

---

(26) الجمهرة مادة ب ث هـ.

4 ـ أن تثليث المادة الثنائية كثيراً ما يكون بتكرار الحرف الثاني ـ أي تضعيفه ـ أو بإضافة حرف آخر هو في الغالب حرف علة، أو حرف من أحرف الذلاقة، أو أحرف الحلق، أو أحرف الصفير.

وقد قال بها في العصر الحديث عدد من الباحثين، منهم: أحمد فارس الشدياق، وأنستاس ماري الكرملي، وعبد اللّه العلايلي، ومرموجي الدومينكي، وحامد عبد القادر، وجرجي زيدان. فاتفقوا على أكثر مبادئها، ولكنهم اختلفوا في بعض التفاصيل، وليس من وكدنا في هذا البحث تتبع ما قالوا، فذلك أمر ناقشناه في بحث آخر[27].

وزيادة الحرف الثالث لا ترتبط بمكان محدد في الكلمة، فقد يكون في أولها (صدراً) مثل: (رم) بالزيادة في أولها تصير: شرم وجرم، حرم، خرم، عرم، غرم.

والأصل في كل ذلك الرم «يقال: رم الشيء أكله، والرُّمة بالضم: قطعة من حبل»[28].

وقد تكون في وسطها (حشواً) مثل رنم، رثم، رحم، ردم، رسم، رشم، رضم، رطم، رقم. والأصل في كل ذلك (الرم).

وقد تكون في آخرها (عجزاً) مثل: رمح، رمز، رمش، رمد، رمض، رمع، رمس. والأصل في كل ذلك الرم.

وقد تعرض ابن جِنّي لهذا المظهر في موضعين أولهما في باب سماه «تعاقب الألفاظ لتصاقب المعاني» قرر في بعضه أن الكلمة المكونة من ثلاثة أحرف تتفق في المعنى مع كلمات أخرى تشاركها في حرفين، ويكون الثالث في كل منها مقارباً للحرف الثاني فيها في المخرج مثل: «تركيب (ع ل م) في العلامة والعلم، وقالوا بيضة عرماء وقطيع أعرم إذا كان فيه سواد وبياض، وإذا

---

(27) السابق مادة ب ث ع.

(28) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة م/ 11/ 1959/ ص193/ بحث عن الثنائية للأستاذ حامد عبد القادر.

وقع ذلك بان أحد اللونين من صاحبه، فكان كل واحد منهما علماً لصاحبه. وهو من (ع ر م)[29] وهذا يعني أن (علم) و(عرم) بمعنى واحد وهو الوضوح.

«ومن ذلك تركيب (ح م س) و(ح ب س) حبست الشيء وحمس السر إذا اشتد. والتقاؤهما أن الشيئين إذا حبس أحدهما صاحبه تمانعا وتعازا فكان ذلك كالشر يقع بينهما»[30].

ومن ذلك «تركيب (ج ب ل) و(ج ب ن) و(ج ب ر) لتقاربها في موضع واحد وهو الالتئام والتماسك، منه الجبل لشدته وقوته، وجبن إذا استمسك وتوقف وتجمع، ومنه جبرت العظم ونحوه إذا قويته»[31] والمعنى الجامع لهذه الأصول هو الشدة والقوة.

وواضح من الأمثلة السابقة أن قرب مخارج الحروف المكونة للكلمات هو الذي جعل المعاني تتقارب، ففي المثال الأول اللام والراء من مخرج واحد وهو ذلق اللسان واللثة، وفي المثال الثاني الميم والباء من مخرج واحد وهو الشفتان، وفي المثال الثالث اللام والنون والراء من مخرج وهو ذلق اللسان واللثة.

وثاني الموضعين اللذين تعرض فيهما ابن جِنّي لهذا المظهر من العلاقات الدلالية باب سماه «إمساس الألفاظ أشباه المعاني» قرر في بعضه أن الحرف الثالث في الكلمة للتنويع دون تقييد يتقارب، أو اتفاق في المخرج مثل: «خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب، كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها، ونحو ذلك، وفي الخبر «قد يدرك الخضم بالقضم» أي قد يدرك الرخاء بالشدة، واللين بالشظف وعليه قول أبي الدرداء: «يخضمون وتقضم والموعد الله» فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، أخذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأصوات»[32].

---

(29) ينظر الدلالة الصوتية ص91.

(30) نشوء اللغة العربية ـ الكرملي ص4.

(31) الخصائص جـ/ 2 ص147.

(32) السابق وكذلك الصفحة.

فلو تركنا ابن جِنّي ومثاليه على هذه الظاهرة، وذهبنا نقلب المعجم نبحث عن تلاق في المعاني بين ما هذا شأنه فهل ستجد ذلك متحققاً؟.

ما ذكر في المجمل[33] من أصول تتفق في الضاد والميم هي: (الخضم والرضم)، (والقضم والهضم(وجميعها تلتقي في معنى عام هو (التليين). تقول قضمت الدابة العشب إذا لينته ليسهل ابتلاعه ورضمت الأرض إذا أثربتها للزرع وهو تليين لها، وقضمت الدابة شعيرها إذا طحنته لتلينه ليسهل بلعه وهضمت المعدة الطعام إذا لينته ليسهل على الجسم امتصاص ما يريده منه فاللين إذا متحقق في الأصول الأربعة، ولكن لكل وجهة ومقام.

ومن ذلك أن القاف والطاء تحقق فيهما معنى الانفصال، فإذا ما أضفت إليهما حرفاً ثالثاً فستحصل على نوع ذلك الانفصال وبين أي شيء وقع مثل: قطع، قطف، قطر، قطن، تقول: قطعت الحبل أو اللحم أو غيرهما إذا فصلت بعضه عن بعض، وتقول: قطر الماء إذا نزل قطرة قطرة وهو منفصل عما قبله وعما بعده، وتقول: قطن بالمكان أقام به فانفصل عمن كان معه، وقطف الزهر ونحوه إذا قطعه عن أصله الذي كان فيه.

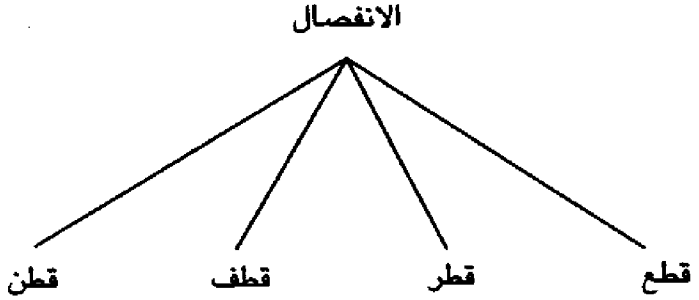

وهذا لا يعني أن الانفصال لا يتحقق إلا بهذه الأصول فهناك أنواع من الانفصال تؤدى بأصول أخرى، ومنه النون والباء وما ثلثهما تدل على الظهور أبداً[34] مثل: نبأ ـ الشيء: ظهر وارتفع، ونبت الزرع خرج من الأرض، ونبث

(33) السابق ص157 ـ 158.

(34) المجمل مواد قضم، رضم، خضم، هضم.

البئر: أخرج ترابها، ونبح ـ نبحت القبجة خرجت من مكمنها، ونبج الكلب ونحوه. ونبخ العجين حمض وفسد فخرج عليه شيء كالرغوة. ونبذ الشيء: طرحه من يده، ونبر الشيء رفعه، ونبزه لمزه، ونبس بالمجلس تكلم، ونبش الشيء، الشيء المستوي أبرزه، ونبض ارتفع وظهر، ونبط الشيء خرج. ونبك: النبك ما ارتفع من الأرض ونبه من نومه: قام نشيطاً.

والمعاني التي قدمناها جميعاً تدل على الظهور.

وعلى هذا فإن الظهور حقل من حقول الأحداث الرئيسة، تنضوي تحته مجموعة من الأحداث الجزئية للظهور كما في الشكل التالي:

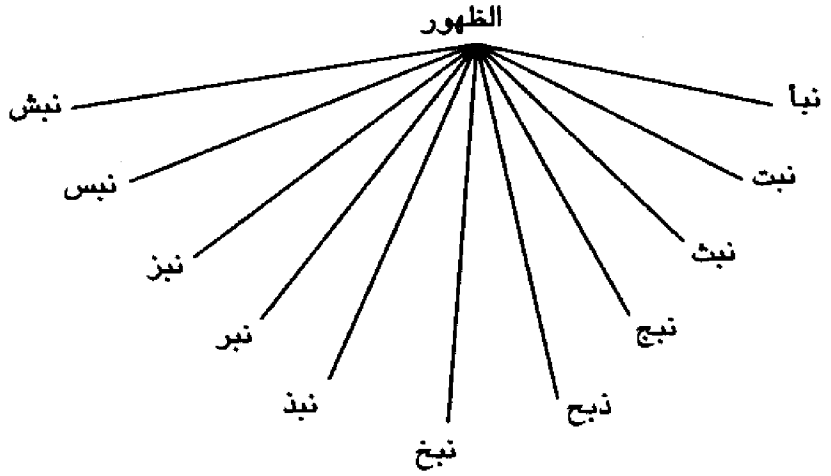

وهكذا فإن العلاقات الدلالية التي قال بها الغربيون في هذا القرن كانت معروفة بصورة مختلفة عند علماء العربية، منها ما نص عليه الغربيون، ومنها ما لم ينصوا عليه، فأما الذي نصوا عليه فهو الكشف عن العلاقات بين الكلمات المتفقة في المعنى، والكلمات التي تحمل معاني متضادة، والكلمات التي تحمل معاني مختلفة، وهو ما يعرف بـ«المترادف والمشترك والتضاد) وأما غير ذلك فإن طبيعة لغاتهم لم تساعدهم على ذلك، ولهذا لم يلتفتوا إليها، ولربما شايعهم

(35) ينظر اللسان المواد السابقة.

بعضنا وَعَدَّ البحث فيها من قبيل الترف، غير أن هذا لا يدفعنا إلى التقليل من جهودهم في إبراز المصطلح وإظهاره، وهذا أمر ليس بالقليل فبفضله استطعنا تتبع الظاهرة عند علماء العربية والكشف عنها.

مصادر البحث ومراجعه

أولاً: العربية

أ ـ الكتب:

1 ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. جلال الدين السيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل. المكتبة العصرية. بيروت. بدون تاريخ.

2 ـ جمهرة اللغة. لابن دريد دار صادر بيروت بدون تاريخ.

3 ـ الخصائص. أبو الفتح عثمان بن جِنّي، تحقيق محمد علي النجار ط/ 3/ 1983.

4 ـ دراسات في فقه اللغة. د. صبحي الصالح. دار العلم للملايين ط/ 8/ 1980.

5 ـ الدلالة الصوتية في اللغة العربية د. صالح سليم. جامعة سبها ط/ 1/ 1988.

6 ـ الاشتقاق. فؤاد ترزي. بيروت 1962.

7 ـ الفهرست للنديم (أبو الفتح محمد ابن يعقوب). تحقيق رضا. دار المسيرة الطبعة الثالثة 1988.

8 ـ لسان العرب المحيط ـ ابن منظور. دار صادر بيروت بدون تاريخ.

9 ـ ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه. الأصمعي. تحقيق ماجد حسن الذهبي. دار الفكر دمشق 1987.

10 ـ المجمل في اللغة. أحمد بن فارس. تحقيق زهير عبد المحسن سلطان. مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية 1986.

11 ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جلال الدين السيوطي. تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين. دار الفكر بدون تاريخ.

12 ـ من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس. مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة السادسة 1987.

13 ـ نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها. أنستاس ماري الكرملي. مكتبة الثقافة الدينية بدون تاريخ.

14 ـ الوجيز في فقه اللغة. محمد الأنطاكي. دار الشروق بيروت. الطبعة الثالثة بدون تاريخ.

ب ـ الدوريات:

ـ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة المجلة/ 11 ـ 1959.

ثانياً: الإنجليزية

أ ـ الكتب:

1 - Meaning and Style S.Ulmann Oxford 1973.

2 - Semantic Fields and Lexical Structure A. Lehner. Amstrdam. Landon 1974.

3 - Semantics J.Lyons.Cambridge. 1979.

ب ـ الدوريات:

1 - Language Vol 39/1963 (The Stracture of Semantic Theory).

2 - Language Vol 41/1965 (The Atomization).

3 - Linguistics No.137 /1974 (The Theory of Semantic Field).